سيميائيّة الشّخصية في رواية الشمعة والدهاليز للطاهر وطار

Personal semiotics in the novel of the candle and the dark corridors of tahar ouettar

الطالب: ملياني أحمد

اشراف :د/طاطة بن قرماز

جامعة حسيبة بن بوعلي.الشلف.

الملخّص باللغة العربية:

استأثرت الشخصية باهتمام كبير من قبل المشتغلين على فن السرد نقدا وإبداعا منذ أمدٍ بعيدٍ، وقد عدّها النقاد ركنا أساسا في صرح البناء الروائي، من حيث الدور المهم الذي تؤديه، والمتمثل في تحقيق النسج والتلاحم بين عناصر السرد الأخرى، المرتبطة بها أشدّ الارتباط، مما جعل بعضهم يرى بأنها معيار الجودة في الرواية، تتحدد ماهيتها، ويضبط مفهومها، وتستكشف دلالتها من خلال ما تقوم به من أفعال، وما تؤديه من أدوار، إضافة إلى مشاركتها في إنتاج الدلالة والإحالة على انتماء النص الثقافي وبذلك تصبح (الشخصية) فاعلا في الرواية، ومحرّكًا للأحداث داخل النص من خلال ما تقوم به من وظائف منوطة بها.

إنّ هذه الورقة البحثية؛ وفي نزعها للتطبيق، تعدُّ مسحًا تحليلياً وبحثًا في سيميائية الشخصيّة الفاعلة في رواية "الشمعة والدهاليز" للطاهر وطّار، على اعتبار الرواية علامات لغوية، ذات إسقاطات واقعيّة، تتحدد دلالتها من خلال الملفوظ وطبيعة السرد، ومن خلال القارئ أيضا.

الكلمات المفتاحيّة: الرواية، الشخصية، السيميائية، الشمعة والدهاليز، الطاهر وطار.

Abstract:

The character has taken great interest in the art of narration in cash and creativity for a long time. Critics have counted it as a cornerstone in the construction of novelism, in terms of the important role it plays in achieving the weaving and cohesion between other elements of narration, Some of them see it as the quality standard in the novel, determine what it is, adjust its concept, and explore its significance through its actions and the roles it plays in addition to its participation in the production of significance and reference to the belonging of the cultural text, And an engine of events within the text through what Om by the functions entrusted to it.

This research paper, with its applied tendency, is an analytical scanning and searching into the semiotics of the actors in the novel " the candle and the dark corridors " by tahar ouettar, considering the novel as linguistic signs with realistic projections.

Key words: Novel, personality, semiotics, the candle and the dark corridors, tahar ouettar.

نحاول أن نلج عوالم الشخصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، ونستجلي صورة عن صراع الشخصيات، انطلاقا من روايات أدب المحنة، ولندع اختيارنا يقع على رواية "الشمعة والدهاليز".

1/- الشخصية الوطنية المناضلة (الشاعر):

أ/- سيميائية الاسم:

إن أول ما يسترعي اهتمام القارئ للرواية (الشمعة والدهاليز) هو طبيعة أسماء الشخصيات المتراوحة بين العلمية (اسم العلم)، والصفة، والوظيفة، والكنية، مما يوحي أن الكاتب الطاهر وطّار قد أسبق عمله بمخطط أنجز فيه الخطوط المميزة لأسماء شخصياته، قبل الخوض في الكتابة النهائية للنص. وذلك رغبة منه في التكثيف الدلالي الذي ينضوي عليه البناء الداخلي والخارجي للشخصية الروائية[1] .

فالشاعر بالمعنى المعجمي لقبٌ لناظم الشعر وقائله، وقد سمّي كذلك لأنه "يمتز بالفطنة والدهاء"[2] وإن كان إسقاط المحمول الدلالي المباشر كحقيقة على الشاعر، ارتكازا على تصريحه أثناء سؤال الجماعة الإسلاموية " من تكون؟ فيجيب: أنا شاعر "[3]، فإن ذلك لا يبطل مصوّغات انزياح الدلالة التأويلية على الصعيد السيميائي، للإحالة على جرأة الشخصية الوطنية المتحررة من قيود السلطة والإيديولوجيات المتزمّتة.

وإذا كان موضوع "الشمعة والدهاليز" يعالج أزمة وطنية، تجري "وقائعها الروائية قبل انتخابات 1992 م"[4]، التي أودت بالمجتمع الجزائري إلى مأساة حقيقية، فلا ضير والأمر يتعلق بالوطن أن تتماثل مسؤولية شخصية "الشاعر " في النص مع المسؤولية التي كانت ملقاة على الشاعر في قبيلته قديما، حيث كان يتبوأ مكانة عالية، لأنه الدرع الذي تحتمي به، للدفاع عن أبطالها، وتمجيد بطولاتها، لذا نجد اسم الشاعر يكتسي طابع التكليف والتذكير بدور الفئة المتنورة ثقافيا، في إعادة الاستقرار واستتباب الأمن الداخلي للجزائر.

ب/- المواصفة وسيميائية البناء:

من بين التقنيات السردية لبناء الشخصية، الوصف الذي ينجز وظائف بنائية متعلقة مع المكونات الحكائية، قصد مدّ المتلقي بصورة مثلى؛ يلتمس من خلالها خيوط الشبكة الدلالية في النص[5]. وتظهر وظيفة المحمولات المواصفاتية لشخصية "الشاعر" في تجسيد معاناة المثقف الجزائري عموما وذلك انطلاقا من:

- العزلة واغتراب الذات:

قد بدت ملامح العزلة واضحة على المثقف الوطني "الشاعر" منذ الطفولة المتزامنة مع الاحتلال الفرنسي للجزائر، والمتمثلة في الفقر والجرمان المادي والاستصغار الذي يلاقيه من أبناء العملاء في المؤسسات التعليمية، جرّاء ميولاته الوطنية المترسّخة، كما يفصح عن نفسه: "في مدرسة القرية كانوا يتساءلون عما ألزمني بمتابعة الدروس، وأنا في تلكم الحالة المزرية: حذائي مرقع من كل جهة، سروالي صمد بدوره عدة سنوات ثم راح يستنجد بالإبرة والخيط... كانوا يضحكون مني ومن العملاق بالفكرة التافهة هذه"[6].

ولم تنته عزلة الشاعر في النص بانتهاء فترة الاحتلال، وإنما زادت شدة إحساسه بالاغتراب الذاتي والتحييد الاجتماعي أثناء مرحلة الاستقلال وما بعده، فيصوّر نفسه أحيانا مجرما، تتمثل جريمته في فهم حقيقة الكون، كما أدرك أن "قومه، ومعظم الأقوام المحيطين بقومه فيما يسمى بالعالم الثالث أو النامي أغنامٌ إن حاولوا اقتحام الدهليز تاهوا إلى أبد الآبدين"[7].

على هذه الشاكلة يطّرد السارد في رصد كل المواصفات الجسمية والنفسية التي تسهم في بناء المثقف الوطني بالجزائر أثناء العشرية الدموية، فيسخّر الشكل واللون والإحساس لخدمة هذا الغرض. فإن كان للبناء الجسماني سبيل في كشف مدى ارتباط المثقف بالوطن، وحسرته على ما آل إليه من ضعف

وتقهقر جراء العنف السياسي، فلا يمكن أن يفوق النحافة، وطول الوجه وبروز الوجنتين، وقسوة الملامح وجفاف النظرة التي يتسم بها البطل الشاعر في الرواية.

لكن على الرغم من توافق كل الصفات التي شخّصت معالم العزلة والمرارة التي عاناها المثقف الجزائري، لينطوي على نفسه، وينأى بفكره، مُعرضا عن كل ما يزيد من هموم الذات وآلامها، إلا أّنه خط لنفسه منحا آخر يلزمه الذود عن وطنه، بالبحث عن الحقيقة، وإيجاد سبل التآلف الاجتماعي في ظل المنعرجات السياسية، التي يستغلها الساسة والمتطرفون لمصالحهم الشخصية. وفي تلك المفارقة بين ظاهر الشخصية وباطنها ، سعى لإيجاد واقع آخر يخالف الواقع الدموي السائد، وهذه الرسالة التي يصبوا إليها النص، وهي في نظرنا أسمى وظائف الرواية من الناحية الاجتماعية.

- عسر التكوين الثقافي والنضال الفكري:

تتجلى معالم عسر التكوين الثقافي، ومؤشرات النضال الفكري للفئة المثقفة، من خلال مجموع العراقيل والصعوبات التي اعترضت سبيل شخصية "الشاعر"، في انجاز مجموعة من الوظائف على مستويات مختلفة، ففي الفترة الاستدمارية اتسمت المسيرة التكوينية التعليمية للشاعر بالتمييز والعنصرية، بحكم انتماء عائلته ونزوعها الثوري التحرري (الأب، العم مختار) على خلاف باقي التلاميذ من "أبناء موظفين في الإدارة الفرنسية بمختلف فروعها، من البريد إلى الشرطة... وكبار القرية وفلاحيها""[8].

ينضاف إلى التمييز بدافع مناصرة الثورة، تمييز آخر يقوم على استقراء القناعات الشخصية للتلاميذ، ومدى تثمينهم وتقبلهم للثقافة الفرنسية، لذا نلفي المثقف الوطني في شخصية "الشاعر" يبرز موقفه المبكر من خلال طواعية التحاقه بالثانوية الفرنسية، لا حبا واستزادة فيما تنتجه هذه المؤسسة من برامج مكرّسة للتبعية، وإنما "بضرورة الإطلال على دهليز مظلم، يسلط عليه الفرنسيون الظلمة، يحاول شيوخنا وعجائزنا دون جدوى، في كل مرة إيقاد شمعة ما للاستنارة بها""[9]. إذا فاكتساب الثقافة الوطنية التي تدحض الاستدمار،

وتبطل مشروعه الاستغلالي الرامي لطمس معالم الهوية الجزائرية عل المدى البعيد لا سبيل إليه إلا بالنضال الفكري، وتمحيص كل ما يتلقّاه المثقف من معطيات فكرية ومعرفية من قبل الهيئات التعليمية الفرنسية.

أما أثناء الأزمة الوطنية، فإن ذلك الفرق في المنابع الثقافية، والمرجعيات الفكرية، التي شكّلت البذرة الأولى في تكوين المثقفين الجزائريين، هو نفسه جسّد الصراع الثقافي والعنف السياسي على صعيد غاب فيه الاحتلال العسكري، وبقي الغزو الثقافي الذي أثقل كاهل المثقف الوطني، وأعجزه عن فتح قنوات الحوار بين السلطة والمعارضة، في محاولة روائية طرقت الحداثة، مُجَسَّدَةً في العلاقة الرابطة بين شخصيات "الشمعة والدهاليز".

إن المساعي النضالية للمثقف المتجسد في شخصية "الشاعر" تتحدّد عبر زمنين، الماضي والحاضر، من خلال الفعل الثوري، والتمحيص الثقافي الذي كان يقوم به طفلا، ثم شابا، في المؤسسات الثقافية (المدرسة، الثانوية) الفرنسية، ومن خلال الجهد الفكري (الجامعة) والحوار الذي كان يجريه مع أنصار الحركة الإسلاموية، قصد التأثير فيهم للعدول عن مشروع أوقع الجزائر في دهاليز لا سبيل إلى الخروج منها، إلا بالتصدي للغزو الثقافي والتطرّف الفكري المميز للبيئة الثقافية بعد الاستقلال "[10].

- الأدوار المبرمجة:

تعدّ شخصية "الشاعر" المثقف الوطني المتحرر، العنصر السردي الرئيس في النص، اعتمادا على تميّزه عن باقي الشخصيات الأخرى، من حيث حضوره السردي الذي تكرّر معه الاسم في صيغ الثبات ما يزيد عن (47 مرة) دون إحصاء الصيغ الأخرى (الضمائر وما يعادلها)، أو التحولات التي شهدها عبر

المقاطع السردية، متّسما بأسماء أخرى من مثل: "ماهتما غاندي"، "هارون الرشيد"، التي فرضتها طبيعة الوظائف، والانزياحات المتعلقة بمر احل الدور التيمي لشخصية الشاعر.

لقد تعدّدت وظائف "الشاعر" في النص، لتمكّن القارئ من الوقوف على السعة الثقافية والاهتمامات الفكرية الواجب توفرها في المثقف الوطني، قصد إنارة دهاليز الأزمة الوطنية، والإحاطة بكل تشعباتها وجذورها التاريخية، ودواعي قيامها، وإمكانات الفعل الثقافي في حلها، دون الرغبة في إعطاء واستدراج فئوي معين، وإزاء هذا النمو الذي شهدته شخصية المثقف "الشاعر"، الذي يطلق عليه "غريماس" "الفاعل الوظائفي الذي ليس مفهوما جامدا، إنما هو مجموع الوظائف والأدوار التي يقوم بها الفاعل ضمن مسار سردي معين"[11]، يمكن اختزال الأدوار الوظيفية لشخصية "الشاعر" في ما يلي:

*** الدور الأول:**

يتمثل في النضال الفكري الذي شبّ عليه المثقف، إلى جانب مشاركته الثورية، وما يسترفده هذا الفعل من كون دلالي، يتمثل في التأكيد على أن الاستقلال الوطني لم يتحقق بالكفاح المسلح وحده، وبذلك تبطل الدعاية التي تتجاهل الدور السياسي للفئة المثقفة في التعبئة النفسية للثوار، وفي التصميم والتخطيط لثورة ثقافية، أحيت الأصالة التي غمرتها المؤسسات الثقافية الفرنسية. فمؤول اختيار "الشاعر" لقطعة من الفلكلور الأصيل للمجتمع الجزائري، أثناء حفل اختتام العام الدراسي بالثانوية الفرنسية، يثبت مدى رغبة المثقف في تأكيد الهوية الوطنية، والتوق إلى الوحدة والحرية[12]، لذا نجد الرغبة في تغيير الواقع الاستغلالي نحو واقع أفضل، يمتاز بالرقي الثقافي، بما يتيح للمثقف أن يستقي رؤاهُ ويغني تجاربه، ويستميل الجماهير باحتذاء النموذج التاريخي في التحرر، كالحركة التحررية في الهند، والتي تقمّص فيها الشاعر شخصية

"ماهتما غاندي"، فغاندي قاد حركة تحررية "اختلطت فيها صراعات الأديان، مسلمون ضد هندوس، علماء من السنة والشيعة ضد البراهمة والبوذيين، مسلمون مع الهندوس ضد الإنجليز، وطوائف أخرى عديدة حائرة بين هذا وذاك"[13].

*** الدور الثاني:**

جاء الدور الثاني مقترنا بزمن العشرية السوداء، فتمثّل في الإصلاح الثقافي، والتحسيس بالوطنية وفتح آفاق الحوار والمهادنة، وهذه المهام التي سخّرت شخصية "الشاعر" نفسها رائدة في إنجازها، من خلال تجاوز حدود النشاط المهني (أستاذ بالجامعة) إلى المسعى الفكري بقول الشعر، والبحث في علم الاجتماع [14]، تضفي جُملا من السمات الدلالية التي تؤكد تمثيله للأنا الوطني، وتهيؤه للتضحية عن طريق استثمار كل المعارف الدينية، السياسية، الفلسفية، الفنية،... من أجل الإجابة عن سؤال الهوية، ومعنى الجزأرة، وإعادة المفهوم الصحيح للإسلام.

*** الدور الثالث:**

يظهر الدور الثالث لشخصية "الشاعر" في الدعوة إلى إشراك المثقف في سَنِ القوانين، وإصدار القرارات، من منطلق نضجه الفكري، ومبتغاه العادل، وبهذه الرؤية الآملة في استرجاع مجد النخبة وتثمين تضحياتها الفكرية، ختم الروائي روايته بمصير كاد يكون محتّما على المثقفين الجزائريين من قبل الأيادي الإجرامية، وهو الموت الذي طال الشاعر، الذي تربطه بالجزائر علاقة أمومة كالتي تربط "هارون الرشيد" الخليفة العباسي بأمه الخيزران بنت عطاء.

2/- الشخصية الدينية المتزمتة (الحركي عمار بن ياسر):

أ/- سيميائية الاسم:

يتألّف هذا الاسم من ثلاث سمات توصيفية بها نسب "عمار+ ياسر+ حركي" ولعل السر الذي يكمن في تركيبه، هو التحوّل الذي حدث لهذه الشخصية من زمن لآخر، فالعمار في اللغة يجمع بين معاني مختلفة من مثل: محدودية القدر، الخفاء والتستر، وهذه الدلالات تشترك كلها مع الخصائص التي تتميز بها الشخصية الدينية المتزمتة في النص الروائي، كالحركة الليلية، والنوايا المبيّتة الراغبة في السلطة، بذريعة إنشاء خلافة إسلامية تستمد مشروعيّتها من قول الله والرسول لا من السياسة[15].

أما "الياسر" فقد اصطنعه الروائي قصدا للحط من قيمة الشخصية، من خلال تصنيفها ضمن الاتجاه السياسي اليساري المعارض، الذي يمثله أنصار الحركة الإسلامية أثناء العشرية السوداء. إلى جانب مرجعيته الدلالية الدينية، التي تذم أهل اليسار والميسر في كثير من الآيات القرآنية، من مثل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [16].

في حين أن الشطر الثالث من الاسم "الحركي" يبدو أكثر دلالة على الخيانة والانقلاب، فالحركي هو اصطلاح شارعي، ذاع وانتشر أثناء وبعد التحرير، يلقب به كل من خان الأمانة الوطنية، ووقف ضد تيار التحرر، منسلخا من عروبته ودينه وانتمائه. هذا الاسم الذي يجمع بين شتات الصفات القبيحة، هو اختزال من الروائي لماهية "قادة العنف الدموي التسعيني" وموقف مثقف من منطق القوة والخداع.

ب/- المواصفة والنسق الإيديولوجي:

لتحديد انتماء الشخصية الثقافي، ونزوعها الإيديولوجي، لابد أن يتعزّز "الاسم المعلن عن الشخص الذي يحمله"[17]، بتقنية التوصيف المبطن بمحمولات دلالية، تصوغها اللغة ويكشفها الفعل القرائي لأن المادة التي تصور المعنى الذهني، والحالة النفسية، وتشخّص النموذج الإنساني هي الألفاظ الجامدة التي تستدعي بدورها سنّ نوعٍ من التحليل الذي يعنى بالعلامات (الشخصية).

فوظيفة المحمولات المواصفاتية تكمن في تحديد بناء الشخصية، من الناحية الخارجية والداخلية كما تكمن في تحديده من ناحية الحكم على الفعل، من خلال الخصائص الذاتية للشخصية أو وضعها في مقابل الشخصيات الأخرى عبر النص[18] . وفي سياق التدليل على عدائية شخصية المثقف الديني "عمار بن ياسر" نجد المواصفة تتركز أساسا حول جملة السمات والملفوظات السردية التي تنتج المراد من التشخيص، ومنها نذكر:

البناء الخارجي = القوة + الرفاهية + القيادة + الحماية الشبانية ...

البناء الخارجي = ضعف الزاد الثقافي + صراع الأنوات + الرضوخ للذات + القلق ...

قيمة الفعل = العنف + الزعم بامتلاك الحقيقة + رفض الآخر + القلق الإيديولوجي ...

إذا، فكل الملامح التوصيفية التي خص بها السارد شخصية "عمار بن ياسر"، تحيل إلى إبطال كثير من الزعم الذي يحاول تبرير العنف الدموي بدافع الفقر، الذي ينفيه اليسر المادي لهذه الشخصية، والرفاهية الاجتماعية التي تنعم بها من حيث طبيعة نشاطها المهني في الهندسة النفطية وقيادة مشروع التطرف[19]. كذلك نستوحي سلبية الفعل الذي تقوم به الشخصية الدينية، من خلال المفارقة الكامنة في هذه الشخصية، وطبيعة فعلها، إذ في الوقت الذي تسعى فيه للتماثل مع أعلام الشخصيات الإسلامية مثل: عمر بن الخطاب، أبو بكر الصديق، أحمد بن حنبل، الإمام الشافعي، يثبت الشاعر الحجة الدينية الرافضة والمناقضة للتطرف الفكري، والجهاد المشبوه (الزائف) بين أفراد المجتمع الإسلامي من أقوال هؤلاء أنفسهم، وتَتْبَعُ هذه المفارقة أيضا الإساءة للدين والمجتمع.

فالحركة التي قادتها شخصية "عمار بن ياسر" باستغلال عقول جمهور الشباب من الفقراء للثقافة والزاد المعرفي الذي يحصنهم من الزيغ والانحراف عن مبادئ النسق الثقافي الديني الأصيل، هي حركة ذات فهم سطحي أخذ من المعتقد الديني (الإسلام) القشور دون اللّب، وبذلك ترى تركيزهم وحرصهم منصبا على

المظهر دون الفقه، وأصول التشريع الإسلامي، "يرتدون قمصانا بيضاء، ويضعون على رؤوسهم قلنسوات بيضاء متساوية الأحجام، مثلما هم متساوو السن والقامات واللحى المتدلية، لا يدري المرء إن كانت اصطناعية أم طبيعية... هكذا نزعوا سراويلهم، وارتدوا الجلابيب، وأطلقوا اللحى واستسلموا لسرداب من سراديب الماضي يمتصهم"[20].

إن المشاهد الوصفية التي خص بها السارد الممسك بخيوط العمل الروائي، الجماعة الإسلامية قام بتوليفها في الخطاب على شكل ملفوظات سردية، تهيئ القارئ لاستشراف مصير الشخصيات وانتمائها الإيديولوجي، حيث يعدّ المشهد الوصفي للثورة سابقا، وعلاقة قادتها بالدين مختلفا تماما مع المشهد الوصفي لعلاقة أنصار الحركة، لأن طبيعة الصراع وأطرافه تختلف باختلاف زمني الاحتلال والاستقلال فيما تبقى الغاية واحدة، وهي استهداف الوحدة الوطنية، ومحاولة تشتيت الوعي الثقافي لأفراد المجتمع الجزائري.

3/- الشخصية السياسية (الأب):

لإبراز معالم الشخصية السياسية اتّبع السارد تقنية تفعيل الزمن، بوصفه العنصر السردي الأكثر قدرة على رصد أهم التحولات السياسية بالجزائر، فشخصية "الأب" ترتهن إلى حقبتين زمنيتين كان لهما أثرهما في إنتاج النخبة السياسية المعاصرة. أوّلها زمن الاحتلال وثانيها ما بعد الاستقلال ونحاول أن نختزل المسار التطوّري لهذه الشخصية في الرسم الموالي:

- الماضي: عهد الاحتلال الفرنسي: "الأب" ⟵ وطني ⟵ مناضل ثوري ⟵ رافض للتبعيّة على جميع مستوياتها ⟵ محقق الاستقلال.

- الحاضر: "الأب" ⟵ ناقم على الوطنية ⟵ انتهازي ⟵ مقلد وداع للتبعية ⟵ مبعث للعنف والصراع.

فمن منطلق هذا التحوّل الذي شهدته شخصية الأب، يطرح علينا النص أسئلةً جوهريّةً هي: لماذا تعجز السلطة عن كسب ثقة الشخصية السياسية، بل وحتى العامة من أفراد المجتمع الجزائري؟ لماذا تجابه السلطة بكل هذا الرفض؟ إن الإجابة عن هذه الأسئلة تنتهي بنا إلى حقيقة مفادها أن التزمت الإيديولوجي السياسي هو الذي قضى على القيم الثقافية التي تؤمن استقرار المجتمعات، وتحكم وحدتها، فغداة الاستقلال انكشفت المعادلة التي توزع بها الثورة حيث "تم اقتسام التركة – كما يصفها المثقف الوطني "الشاعر" – دون كتابة فريضة، بتواطؤ غريب، واستولى المتفرنسون من شارك منهم في الثورة ومن لم يشارك، على المناصب الإدارية كل حسب محسوبيته لا حسب كفاءته. استولى المعربون على التعليم، خاصة مراحله الابتدائية... ومن كان ماضيهم مشبوها استولوا على الأسواق، يتاجرون في الخردوات وكل ما فيه مضاربات واحتكار، ويؤدي بطريقة ما إلى الانتقام من هذا الزبون الذي يفترضون قبل أي شيء آخر، أنّه خصم وعدو لدود"[21].

لقد فرض منطق المراوغة والنفاق السياسي نوعا من الشخصيات التي انقلبت أدوارها كشخصية الأب الذي كان مجاهدا في أعالي الجبال من أجل الحرية والاستقلال، واليوم أصبح فريسة للايدولوجيا الفردية، لأن "التيار كان قويا فانساق في الدهاليز المظلمة، يمثله سرداب من سراديب الماضي، ثم يقذفه من سرداب لآخر، انكب على مشاكله وقضاياه الخاصة ... يلعن الحاضر ويتغنى بالماضي" [22].

ما يبرز الفاعلية السلبية للشخصية السياسية هو إرساء دعائم الظلم والاستعباد بعد الاستقلال وترسيخ ثقافة العنف والصراع، في مفارقة دفع فيها الاستبداد السياسي إلى انفجار الوضع الاجتماعي أثناء التسعينات، وهو حياد قادة الثورة عن مبادئهم، وتخليهم عن قيم نضالهم، مما أفقد السياسي

الحقيقي الثقة فيهم جميعا[23]، وزاد من حجم الأزمة الثقافية باتساع الهوة بين السياسيين على اختلاف توجّهاتهم السياسية.

بمجرد التتبع البسيط لحركة شخصية "الأب" عبر مجرى السرد في رواية "الشمعة والدهاليز" بوسعنا الكشف عن موقف وعدائية الإيديولوجيات التي خرجت من رحم نظام تسيّست فيه الثقافة وتحزّب فيه المثقف، واحتدم فيه صراع الثقافة التقليدية بالثقافة الجديدة[24]، الذي يحيل عليه خطاب "عمار بن ياسر" لـ "الأب" :

"أيها الأب التعيس، أيها الأب البئيس، أيها الأب العزيز. المكان يضيق بكلينا، وما عليك إلا أن ترحل.

- ترحل عائدا إلينا.

- ترحل هاربا منا.

- ترحل ميتا على أيدينا.

لقد علمتني ما يجب أن أفعل فلماذا الإصرار الكاذب؟"[25]

وبتتبّع الفعل الوظائفي للشخصية السياسية "الأب" من الماضي إلى الحاضر، نلمس حقيقة هذه الشخصية، ونقف على تضلّعها في التحوّل الذي شهدته الجزائر من الثورة إلى فترة العشرية الدامية، بسبب تفريطها في إتمام الغاية الثورية المتمثلة في الوحدة الوطنية والأصالة الثقافية المنتجة.

إن نمو شخصية السياسي "الأب" في النص الروائي، يجلي لنا تلك المقولة القاضية بأن التاريخ الجزائري يعيد نفسه، ولكن في حُلَلٍ مختلفة. فقد كانت رغبة النخبة السياسية (قادة الثورة سابقا) مشروعة، يستدعيها الواجب الوطني الطامح للحرية والرافض للتبعية والاستغلال الأجنبي والتي تظهرها علاقة الكينونة بالظهور في وضعية صدق، التزمت فيها شخصية "الأب" تربية جيل مثقف ثقافة وطنية، يحمي المجتمع من الدخيل الثقافي. فكان الحرص على التكوين الإسلامي آنذاك واجبا على حد

قول الشخصية السياسية: "فقانون فرنسا ليس صالحا لحل مشاكلنا، ثم إن الاستقلال على الأبواب ولن تعود الفرنسية تنفع أحدا"[26].

لكن بعد الاستقلال، وبعدما تخلّصت الذات من الضغط الخارجي (الاحتلال) ظلّت تعاني ضغط الإيديولوجيا السياسية، الذي جسّدته وضعية السر بين السعي للحرية لغرض الخيانة والتفرد بالسلطة، وعملت بذلك على تكرار سيناريو الاستغلال الفرنسي من خلال قمع السياسيين الوطنيين وعليه تبدو فاعلية النخبة المثقفة ثقافة سياسية واضحة في نشوب العنف زمن العشرية الدموية. إن هذه النزعة التي ميّزت شخصية السياسي بعد الاستقلال هي التي أشعلت فتيل الصراع بين الدين والسلطة والثقافة، في صورة رسمها السارد في فشل الحياة الاجتماعية من خلال الطلاق بين شخصية "الأب" و "الأم".

أما ما يتعلق بالنقد الموجه للسلطة "الأب"، ورفض ذلك النفاق في الخطاب السياسي، يأتي لسان الولد (المجتمع + المعارضة) في قوله: "إن ما هو مخجل لأنه يخلو من الأخلاقية والمصداقية، أن يترأس "الأب" بعد اثنين وعشرين سنة فقط من موقفك هذا الذي لم يتغير حكومة الثورة الوطنية لترؤس بعد أربع سنوات من ذلك الهيئة التشريعية الأولى في تاريخ هذا الوطن"[27].

خاتمة:

لقد حاول الطاهر وطار أن يجعل من الشخصية في روايته؛ شمعة تنير دهاليز وظلمات الوضع السياسي الذي عانته الجزائر بعد انتخابات أكتوبر، ونبراسا ثقافيا أيضا يهتدي به حينما يضل المجتمع الطريق، وتفقد القوى السياسية والإيديولوجية توازنها، لأنه المناضل الذي بفضله تخلص المجتمع الجزائري من عبودية الاحتلال الفرنسي، والصوت المرشد للإصلاح، وسبل الوحدة أثناء فترة التسعينات، والدليل القويم للرقي والازدهار اليوم.

* القرآن الكريم برواية حفص.

قائمة المصادر والمراجع:

1/- أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، ط: 01، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2005.

2/- برهان غليون، اغتيال العقل. محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، ط: 04، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، 2006.

3/- رشيد بن مالك، السيميائية بين النظرية والتطبيق، مخطوط رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة تلمسان، 1995.

4/- سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصية السردية. رواية الشراع والعاصفة لحنا منا نموذجا، ط: 01، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، 2003.

5/- الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، ط: 01، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.

6/- عبد العزيز بن عرفة، "ترجمة لمدخل إلى نظرية السرد عند غريماس"، مجلة الحياة الثقافية، تونس، العدد: 41، 1986.

7/- عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي. معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ط:04، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، الجزائر، 2007.

8/- علي شعيب، غاندي، ط: 01، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1992.

9/- ابن منظور، لسان العرب، ط:03، دار صادر، بيرون، لبنان، 1994.

[1]- ينظر: عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي. معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ط:04، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، الجزائر، 2007، ص: 127.

[2]- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ط:03، دار صادر، بيرون، لبنان، 1994، ج: 04، ص، 410.

[3]- الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، ط: 01، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص: 26.

[4]- نفسه، ص: 08.

[5]- ينظر: أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، ط: 01، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2005، ص: 64، 65.

[6]- الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، ص: 47، 48.

[7]- الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، ص: 13.

[8]- الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، ص: 47.

[9]- نفسه، ص: 49.

[10]- ينظر: الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، ص: 53، 77، 88، 95.

[11]- عبد العزيز بن عرفة، "ترجمة لمدخل إلى نظرية السرد عند غريماس"، مجلة الحياة الثقافية، تونس، العدد: 41، 1986، ص: 185.

[12]- ينظر: الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، ص: 74، 75.

[13]- علي شعيب، غاندي، ط: 01، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1992، ص: 03.

[14]- ينظر: الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، ص: 30، 31.

[15]- ينظر: الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، ص: 81.

[16]- القرآن الكريم، رواية حفص، سورة المائدة، الآية: 90.

[17]- رشيد بن مالك، السيميائية بين النظرية والتطبيق، مخطوط رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة تلمسان، 1995، ص: 173

[18]- ينظر: سعيد بنكراد، سيميولوجية الشخصية السردية. رواية الشراع والعاصفة لحنا منا نموذجا، ط: 01، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، 2003، ص: 148.

[19]- ينظر: الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، ص: 29.

[20]- نفسه، ص: 12، 13.

[21]- الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، ص: 82.

[22]- نفسه، ص: 84، 85.

[23]- ينظر، نفسه، ص: 89.

[24]- ينظر: برهان غليون، اغتيال العقل. محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، ط: 04، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص: 98.

[25]- الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، ص: 185.

[26]- الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز ، ص: 88.

[27]- نفسه، ص: 158.